السياسة كشكل

محمد سيد رصاص *

في نص كارل ماركس «طريقة علم الاقتصاد السياسي»، الموجود في كتاب «الغروندريسة: أسس نقد الاقتصاد السياسي» (1857-58)، هناك تعامل مع الحركة التاريخية - الاجتماعية بوصفها مولدة لأشكال من المجتمع وأشكال من التشكلات الاقتصادية.

كما يتحدث ماركس في هذا النص عن «الأشكال الأخيرة للمجتمع البورجوازي» وعن «تركز المجتمع البورجوازي في شكل دولة». يمكن الاستنتاج بأن ماركس يرى التاريخ بوصفه تغيُّراً في الأشكال.

يمكن نقل هذا إلى السياسة، فالسياسة مكثف لمحتوى اقتصادي – اجتماعي - ثقافي تأخذ كممارسة أشكالاً عدة: طبقية، قومية، قومية – دينية، طائفية، طائفية - قومية، جهوية، طائفية - جهوية، إثنية - جهوية - قبلية. كل هذه الأشكال تحوي أو تحمل، عبر الجسم السياسي الذي غالباً ما يأخذ شكل حزب أو حركة أو جماعة مع برنامج منطلق من رؤية فكرية - سياسية (= إيديولوجيا) تستند إلى منهج تحليلي، محتوى اقتصادياً – اجتماعياً - ثقافياً.

الأشكال السياسية هي المتغيرة والمحتوى واحد حيث السياسة، كشكل، هي الطابق الأعلى للمبنى الاقتصادي - الاجتماعي – الثقافي، وهي شكله التعبيري والممارساتي.

يمكن رؤية الأشكال السياسية في التعبيرات السياسية: طبقية (حزب العمال البريطاني، الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني، الحزب الليبرالي الألماني: أحزاب طبقية البنية والتمثيل والبرنامج)، أو قومية (حزب البعث العربي الاشتراكي، حركة القوميين العرب، حزب العمل القومي التركي، الحزب الديمقراطي الكردستاني)، أو قومية - دينية (نمور التاميل: حركة تاميلية - هندوسية ضد هيمنة الأكثرية السنهالية – البوذية في سريلانكا)، أو طائفية (حزب الدعوة في العراق، المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق)، أو طائفية - قومية (الجيش الجمهوري في الشمال الايرلندي الخاضع لسلطة لندن حيث هناك تنظيم سياسي «الشين فيت» وجناح عسكري يعبر عن الأقلية الكاثوليكية الايرلندية في وجه أكثرية بروتستانتية تم جلبها عبر قرنين سابقين إلى شمال الجزيرة الايرلندية من اسكوتلاندا وانكلترا)، أو جهوية (الحركة المطالبة بالفيدرالية في اقليم برقة شرق ليبيا، والحركات المسلحة في الشرق السوداني عند الحدود الإريترية)، أو طائفية - جهوية (الحوثيون في شمال صنعاء، و«الاتحاد المسيحي الاجتماعي» في ولاية بافاريا الألمانية ذو القاعدة الكاثوليكية)، أو إثنية – جهوية - قبلية (حركة العدل والمساواة في اقليم دارفور في السودان التي تستند إلى قبيلة الزغاوة).

يمكن رؤية أشكال أخرى أيضاً، مثلاً حزب «بهاراتيا جاناتا» الحاكم حالياً في الهند حيث يحاول أن يقدم إيديولوجيا قومية هندية استناداً إلى الديانة الهندوسية، وهو لا نجد في نوابه الحاليين في البرلمان أي مسلم (10% من السكان)، حيث الاعتماد على موروث ثقافي ديني لبناء قومية في مجتمع متعدد الديانات، وهو ما جعله يأخذ طابعاً هندوسياً دينياً طائفياً بنظر المسلمين والسيخ، فيما عند «نمور التاميل» لا يوجد ذلك رغم التشابه كحركة

الأشكال السياسية هي المتغيرة والمحتوى واحد (أ ف ب)

لعنة التناقضات داخل المجتمع الإسرائيليّ

زهير أندراوس *

لا أعرف ماذا قصد سيّد المقاومة، الشيخ حسن نصر الله، عندما أرسى مقولته المأثورة بأنّ إسرائيل هي أوهن من بيت العنكبوت، ولكني أميل إلى الترجيح، بأنّه وجّه كلامه إلى صنّاع القرار في دولة الاحتلال، من المستويين الأمنيّ والسياسيّ، بأنّ صواريخ المُقاومة، وباعترافٍ علنيٍّ من قادة أقوى جيوش العالم، باتت تُهدّد كلّ قطعة في العمق الإسرائيليّ، من المطلّة في الشمال إلى أم الرشراش (إيلات) في الجنوب، مروراً بمفاعل ديمونا النوويّ، الذي بات في مرمى صواريخ المُقاومة. في هذا المقال سنُحاول سبر غور التناقضات داخل المجتمع الإسرائيليّ، وتحديداً بين اليهود من أصول غربيّة، أيّ أوروبيّة، واليهود من أصول شرقيّة، وهم الذين تمّ استجلابهم إلى فلسطين من قبل الصهيونيّة بعد إقامة الكيان الإسرائيليّ، من الدول العربيّة، إذْ تُرجع الحركة الصهيونية بأصواتها في الزمان إلى أواخر القرن الماضي، وفي المكان إلى بلدان شرق أوروبا: فهي بذلك وليدة الظروف الاجتماعيّة والأحوال السياسية التي عاشها اليهود الأوروبيون الذين بدؤوا ينزحون إلى فلسطين منذ بداية الهجرة الصهيونيّة في القرن الـ19 وحتى إعلان قيام دولة إسرائيل.

فجميع هؤلاء النازحين تقريباً من بلدان شرق أوروبا ووسطها، وقد حملوا معهم إلى فلسطين قيم الحضارة الأوروبية التي عاشوا فيها، وأفكار الحركة الصهيونيّة التي لم تَكُن سوى ردّ فعل لظروف اليهود الأوروبيين. وقد سيطر اليهود الأوروبيون على الحركة الصهيونيّة ثمّ على الدولة، التي كانوا هم منشؤوها ودعامة مؤسساتها وأجهزتها، ولا تزال سيطرة تلك الفئة على الاقتصاد وعلى الحكم في إسرائيل قائمة حتى الآن، ما يبرر القول إنّ إسرائيل ليست إلّا ظاهرة استعمارية أوروبية ظهرت في الشرق الأوسط، بعد أنْ زال منه الاستعمار العثمانيّ الذي أزاله الاستعمار الأوروبيّ وزالت منه لاحقاً، أوْ كادت، سائر مظاهر الاستعمار الأوروبيّ. على أنّ تغيرات جوهريّة بدأت تطرأ على التركيبة السكّانيّة الإسرائيليّة بعد عام 1948، فقد تضاءل سيل الهجرة الأوروبية من جهة، وانصبت على إسرائيل من جهة أخرى سيول من يهود البلدان العربية وبعض بلدان الشرق الأوسط الأخرى مثل إيران وتركيا، فكانت نسبة اليهود الشرقيين الثلثين من مجموع المُهاجرين في الفترة من 1951 إلى 1956، ثمّ مرّة أخرى في عام 1962. ومع أنّ حركة الهجرة قد خفت الآن كثيراً بصفةٍ عامةٍ، إلّا أنّ النازحين إلى إسرائيل من يهود أوروبا وأميركا لا يزالون قلّة بالنسبة للنازحين إليها من يهود البلدان العربية وسائر أقطار الشرق الأوسط. وقد كانت نتيجة ذلك أنّ غالبية سكّان إسرائيل الآن هم من اليهود الشرقيين أوْ من الجيل الأوّل من ذريتهم.

■■■

الكراهية الموجودة والمتأججة اليوم في دولة الاحتلال بين مُكوّنات المجتمع الإسرائيليّ باتت واضحةً وجليّة للعين: الاشكناز يكرهون الشرقيين، المتدينون يمقتون العلمانيين، سكّان المدن الغنيّة يعيشون في «ويلات» خاصّة بهم، ولا يلتفتون إلى وضع اليهود من أصول شرقيّة، والذين يعيشون في المناطق البعيدة في الشمال والجنوب، علاوة على ذلك، فإنّ المتدينين ينقسمون على أنفسهم، فهناك الذين استُجلبوا إلى فلسطين من الدول الأوروبيّة، لا يتحمّلون، وهذه كلمة خفيفة، اليهود المتدينين الذي وصلوا إلى فلسطين من الدول العربيّة، بناءً على ما تقدّم، فيُمكن القول والفصل إنّ المجتمع الإسرائيليّ يعيش على التناقضات العرقيّة والإثنية، علاوة على البون الشاسع من الناحية الطبقيّة. السياسة الاقتصاديّة الإسرائيليّة، التي تُسمّى بالنيوليبراليّة، والتي يدعمها بكلّ ما أوتي من قوّة، رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، تُعمّق الفجوات بين مُركّبات المجتمع اليهوديّ-الصهيونيّ، فالأغنياء، وهم في غالبيتهم العظمى من الأشكناز، تزداد ثرواتهم، فيما «اليهود-العرب»، باتوا من أكثر الطبقات سحقاً وفقراً، طبعاً بعد فلسطينيي الداخل، الذي يتربعون في المكان الأدنى بسبب سياسات حكومات إسرائيل المُتعاقبة، والتي تُمعن في إفقارهم لإذلالهم، والتأكيد لهم مرّة تلو الأخرى أنّ هذه الدولة، يجب أنْ تكون دولة يهوديّة، نقيّة من الناطقين بالضاد. وفي هذه العُجالة يكفينا الإشارة إلى أنّ نصف الأطفال العرب في إسرائيل يعيشون تحت خط الفقر، فيما تحتلّ أول عشرين مكاناً في سلّم الفقر، قرى، وبلدات ومُجمعات ومدن عربيّة داخل ما يُطلق عليه بالخط الأخضر. ولكن اللافت، أنّه في الانتخابات الأخيرة، صوتَ اليهود الشرقيون لنتنياهو، على الرغم من معاداته لهم، والسبب باعتقادنا المُتواضع أنّ كره اليهوديّ-الإسرائيليّ للعربيّ الفلسطينيّ يُنسيه الغبن اللاحق به من الناحية الاقتصاديّة-الاجتماعيّة، وهو الأمر الذي تعمل الحكومة الإسرائيليّة على تكريسه لدى هذه الشريحة الكبيرة من المجتمع اليهوديّ. وعندما يُصبح كره العرب أهّم من لقمة العيش، فلا مكان للنقاش، إنّما الجزم بأنّ العنصريّة، إنْ لم تكُن الفاشيّة، تغلبّت على قوانين الطبيعة. هذا دون أنْ ننسى أنّ أوّل فوز لليكود في الانتخابات الإسرائيليّة كان عام 1977 وذلك بدعم اليهود الشرقيين الذين تمكّن مناحيم بيغن من استمالتهم.

■■■

عندما تأسست إسرائيل في عام 1948، على أنقاض الشعب العربيّ الفلسطينيّ، أعلن ديفيد بن غوريون، مَنْ يُطلِق عليه الصهاينة لقب مؤسس الدولة العبريّة، أنّه سيعمل على انصهار اليهود من جميع أصقاع العالم في «أرض الميعاد» وإنشاء الأمّة الإسرائيليّة. بن غوريون كان من أشّد الصهاينة الحاقدين على كلّ عربيّ، حتى الهويّة الزرقاء التي مُنحت للمواطنين في إسرائيل، بما في ذلك فلسطينيو الداخل، رفض حملها، لأنّها تحتوي على كلمات عربيّة، وهو الشخص، الذي رفض إلغاء الحكم العسكريّ الذي كانت تفرضه السلطات الإسرائيليّة على

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15-666314 / 01 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper